الفصل الأول: الإيمان بالاختلاف

مع تطور جميع الوسائل في العصر الحديث وتقدم كل شيء، ولم تتطور العلاقات الاجتماعية بين الرجل وزوجته، وقلة ثقافة الفهم بينهما وانشغال كلٍّ منهما بأمور الحياة نجد وقوعًا في الكثير من الخلافات والمشكلات؛ فلا بد أن تتطور مع العصر الحديث.

لابد من تطور العلاقات الاجتماعية والفهم الاجتماعي، والتطور في الفكر الاجتماعي الحديث وانعدام الثقافة والوعي الاجتماعي أصبحت سبباً لحدوث المشكلات والخلافات بين الزوج وزوجته، إلا أن عالم حواء الخفي يظهر كثيرًا من هذا التطور الاجتماعي، وتطور الفكر للوصول بسفينة العلاقات الاجتماعية إلى برّ الأمان دون الاختلاف.

تطوّرَت وسائل التواصل ولم تتطور العلاقات الاجتماعية بين كليهما، أصبحَت حواء تحتاج إلى نوع جديد من الحب الشخصي، وأصبح -أيضًا- الرجل إلى معاملة مختلفة عما سبق؛ فقد كان في الماضي أن الزوجة تقف بجوار زوجها لكي ينجح في العمل، ويشعر بالثقة، ويشعر أنها بجواره، وكانوا يقولون وراء كل رجل عظيم امرأة؛ لأنها كثيرًا ما كانت تساعده في أمور حياته.

أما في العصر الحديث فلا نختلف أنها تقف بجواره، إلا أنه لابد من التعامل الجديد بصورة أكثر، وتحتاج إلى العاطفة والحنان والاهتمام والرعاية والتدلل كالطفلة، كل ذلك تحتاجه حواء من آدم، ولابد له أن يتطوّر بسرعة، ويتعلم ويتفهم متطلبات حواء من الاهتمام لكي يتم التعامل الجدّيّ معها دون الوقوع في بعض المشكلات لديها.

يتناول عالم حواء الخفيّ أسرارها الداخلية، حيث أن حواء من الداخل سرٌّ خفيّ لا يعلمه إلا القليل يصعب فهمه، وهذه هي طبيعة أنثوية خلقها الله بها؛ فلا أحد يستطيع أن يغيّر أي شيء فيها، وهكذا حواء بالنسبة لآدم؛ فهي عالم خفيّ يصعب فك رموزه بالنسبة لآدم دون أن تدري هي ذلك، بل تظن حواء أنها صادقة وصريحة وواضحة في نفس الوقت الذي يظن آدم أنها غامضه؛ لذلك فالأمر ليس بيد آدم، وليس في يد حواء، إنما هو بيد الله سبحانه وتعالى في خلق حواء في مثل هذه الصورة، وحيث أن عالم حواء الخفيّ يظنّ آدم أنه يعلم ويعرف من هي حواء، إلا أن حواء معرفتها ليست سهلة، إنما صعبة المعرفة الداخلية، ولكلٍّ من آدم وحواء طبيعة مختلفة عن الآخر لا يستطيع أحدهما أن يغيرها.

حيث أن حواء عاطفية كما خلقها الله للحنان والعطف، أما آدم خُلِق للعمل والجد والقيادة، وأنّ حواء رقيقة وناعمة وحسّاسة، وأن آدم ذو طبيعة خشنة يتحمل المؤثرات الخارجية؛ فلحواء عالم يختلف تمامًا عن آدم؛ لذلك لابد من: أولًا: الإيمان بالاختلاف حتى تستمر العلاقات الجيدة، ويبتعد كلٌّ منهما عن الظنون السيئة للآخر.

ولاشك أن حواء هي الأم التي عندما تولد أنت أول من تنظر إليها؛ فتجدها تقدّم لك الحب والرعاية والعطف والحنان والاهتمام اللازم والغذاء المناسب لك، هذا كله عندما كنت طفلًا بين يدها، وحيث أن حواء هي الأم التي حملت وسهرت حتى تُصبِح رجلًا قادرًا على الحياة، وهي الزوجة التي تعطي لك الحنان والاهتمام؛ لذلك لابد من معرفه لغاتها وحياتها الداخلية؛ ماذا تحب؟ وماذا تريد في مجتمعاتنا؟ إن حواء لها حياتها الداخلية، ومن أجل التقدم في الحياة الاجتماعية وتطوراتها لابد أن يتطور أيضًا الفكر الاجتماعي لعالم حواء الخفي.

إن حواء لها حياة ظاهرها يختلف عن ما بداخلها، وإن في ظاهرها قد لا تطلب من الاهتمام والرعاية والحب،

في حين أن في داخلها تتمنّى ذلك، ولكنها لا تبوح لك بهذا، وحتى إن حدث تريد لو أنك فعلتَ ذلك دون طلب حواء مشاعرها لمن يفهما ويقدّرها، وحيث أن كل شيء في الحياة لابد أن تعرفه جيدًا لكي تعرف أن تتعامل معها بصورة صحية ودون مشاكل أو خلافات وبصورة صحيحة، هكذا حواء...

حواء هي النصف الآخر المكمل للعنصر البشريّ في الحياة للإنسان، خلق الله آدم وخلق له حواء نصفه الآخر؛ لكي يعمّرا الكون سويًا، وحتى تستطيع العيش بسلام لابد أن تعرف جيدًا من تكون حواء!

حواء ليست امرأة فقط كما يعرفها الكثيرون، ولكن حواء عالم آخر خفيّ لا تعرف كيف تتعامل معها إلا إذا عرفت عالم حواء الخفي، يظهر لك أنّكَ تستطيع التعامل مع حواء بسهولة، ولكن لها عالم خفي ويدّعي آدم معرفة حواء معرفة كاملة، ولكنه لا يعلم مَن حواء إلا أنها امرأة كباقي النساء، ويتحدّث معها وتتحدث معه، ويظن أنه بمعرفة الحديث مع حواء، إذا عرَفتَ كيف تتعامل معها.

فالتعامل مع حواء لا يتم بصورة جيدة إلا إذا كنت تعرف عالم حواء الخفي، ويظن آدم أن التعامل مع حواء سهلًا، يكون سهلًا في حالِ عرَفتَ وفهمتَ من تكون حواء.

والإيمان بالاختلاف بينك وبين حواء، واختلافٌ في الفكر ليس التعامل، وإنما لها طبيعة تختلف عنك، وهذا جمال الحياة، ولابد من معرفه عالم ولغة حواء الداخلية، كباقي لغات العالم وعالم البحار وعالم النجوم، أيضًا لحواء عالم لابد من فهمٍ للعلاقات الاجتماعية حتى تسير المراكب الزوجية إلى برّ الأمان والاستقرار النفسيّ في العلاقة الزوجية بين آدم وحواء.

ولا بد من استمرار هذه المركب واستقرارها مبنيّ على فهم كلًّا من آدم لحواء وحواء لآدم، ولماذا نريد فهم حواء جيدًا؟! لأن حواء هي الأم والأخت والزوجة والبنت والعمة والخالة، هي النصف الآخر للمجتمع؛ لهذا لا بد من معرفتها وكيفيه تفكيرها ومشاعرها وعاطفتها حتى يسهل علينا التعامل بصورة غير قابلة للتجريح.

وكثيرًا ما نجد الخلافات والمشاكل الزوجية بين آدم وحواء إلا ونجد مصدرها عدم فهمنا لبعضنا البعض، مبنيّ على سوء ظن وجهل المعرفة، وإظهار دائم بمعرفة آدم لحواء وعالمها الخفي، وتجد الصراع الدائم لماذا؟! لأنه لم يؤمن بالاختلاف ما بينه وبين حواء، لأنه يتوقّع رد فعل من حواء في أنه يرى فعلًا آخر مخالفًا تمامًا لماذا؟! لأن أكبر شكوى تعبّر عنها حواء أن آدم لا يستمع إليها ولا ينصت إليها بالاهتمام، وهو أكثر ما تريده حواء من آدم

الاستماع والإنصات لمشاكلها حتى تخرج من حلقة المشاعر الداخلية، وحيث أنّ لغة حواء تختلف عن لغة آدم، حيث أن حواء تحب الاهتمام والاستماع إليها والانصات الجيد.

وعدم فهم آدم لمشاعر حواء في حال أنها عندما تتحدث إليه في مشاكلها ومشاعرها يستمع لمدة قليلة، ثم يتجاهل الآخر ظنًا منه أنها مشاكل بسيطة يمكن حلّها بسهولة، في أنها لا تريد منه حلولًا؛ لذلك يغضب عندما تستاء منه لحلّه هذه المشكلة، هي تريد منه العاطفة وليس الحل، آدم يظن بفكره أنها تريد حلًّا لمشاكلها، وأيضًا في أنها مريضة قد تتصل عليه وتقول له أنها مريضة، وهو يردّ اذهبي إلى الطبيب؛ فلو كانت مثل ذلك كانت طلبت منذ البداية أن تستأذن منه أنها تذهب إلى الطبيب، ولكن هي تريد العاطفة، تريد أن يسألها عن حالها ويكرر السؤال للاطمئنان عليها، هكذا تفكر وتريد حواء.

وعلى العكس آدم عندما تحبه حواء وتشعر أنها مسؤولة عن مساعدته لكي يتطور ويتقدم في حياته، وهو يظن أنها تتحكم فيه وتريد تغييره، وأكثر ما يُشعر آدم بالاستياء، لذلك نصل إلى نقطه خلاف سببها عدم المعرفة.

وتحلم حواء بالحب والاهتمام والأسرة الجميلة والعلاقات والمشاركة والتواصل، بينما آدم يحلم دائمًا بالنجاح في العمل وتحقيق العديد من النجاح وتحقيق الأهداف والأحلام الخاصة به، ودائمًا مشغول بالأشياء التي تمكنه من التعبير عن القوة عن طريق تحقيق الأهداف وصناعة النتائج، ويسعى دائمًا لتحقيق الأهداف حتى يشعر بالرضا عن نفسه، وحيث أن الاتصال مع حواء لمعرفة هذه اللغة من أهم أساليب التعامل مع حواء بسهولة ويسر- دون خلافات، وهي تحب الرعاية والدعم والكلام الجميل الذي يزيد من ثقتها في نفسها، وهي تحب أيضًا أنْ تبوح بمشاعرها الداخلية من حب وفرح أو حزن، لابد من أن يتغير الوعي الفكري الذي لدينا بأننا مختلفون، والإيمان بالاختلاف، ما لم نؤمن بهذا الاختلاف ونتعامل معه بمعرفة حقيقية دون جهل سنجد أنفسنا على خلاف دائم مع بعضنا البعض، فلآدم أو لحواء دائمًا ما نجد أنه غاضب أو مُحبَط من الجنس الآخر؛ لأننا نتوقع أننا نكون شبه بعض تمامًا، ولا نعلم أن الاختلاف هو السنّة المؤكّدة في الحياة، وما كانت جميلة إلا بهذا الاختلاف الجوهريّ؛ فنحن نفترض خطأين إذا كان آباؤنا يحبوننا فسيكون رد فعلهم وتصرفهم معنا بنفس الفكر، ولكن يكون رد الفعل أو الأسلوب مختلف تمامًا؛ لذلك يهيئنا لخيبة أمل مرة تلو الأخرى، ويحرمنا من استغلال الوقت الضروري للتواصل بحب عن

اختلافاتنا؛ حيث أن آدم يتوقع خطأً أن تفكر حواء كما يفكر، وتتواصل وتستجيب بالأسلوب الذي يتبعه آدم، إذا لم نكن نعلم ونؤمن بالاختلاف تكون علاقتنا مليئة بالاحتكاكات والصراعات الغير ضرورية.

وأن من الواضح أن إدراك واحترام هذه الاختلافات يؤدي إلى تناقص الارتباك حين تتعامل مع الجنس الآخر بدرجة تفوق الخيال، وحيث أن حواء عندما تقدّم المساعدة لآدم لم تكن تعلم أن هذا حسّياس لدى آدم؛ فيشعر آدم بالاستياء من نتيجة هذا الفعل، ولكن ذلك بالنسبة لعالم حواء الخفي يشعرها بالثقة في نفسها، وأنها فخورة من جراء هذا الفعل، ولكن من منظور آدم يختلف، وعندما تتحدث إلى حواء في عالم الحب والمشاعر تشعر وأنها درست كل هذا، وتجدها وكأنها درسَت العلوم الاجتماعية والمشاعر الإنساني.